مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر المجلد: 12 / العدد: 01 (مـاي 2024) ص686 – 696
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

تمثلات الأنا وصورة الآخر في المجموعة القصصية تقاسيم فلسطيني لسناء الشعلان

Representations of the Ego and the Image of the Other in the Story Collection, Palestinian Sharing by Sanaa Shaalan

أ.د. سعاد شابي
Prof: Souad chabbi
1 جامعة أحمد درايعية أدرار (الجزائر)، sou.chabi@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2023/03/30	تاريخ القبول: 2023/09/18	تاريخ النشر: 2024/05/16

الملخص:

موضوع الأنا والآخر من الموضوعات التي اهتم بها الدارسون في جانب الدراسات الحداثية، والظاهرة ليست مقصورة على جنس بعينه بل في الشعر والرواية وغيرهما من الفنون الأدبية، وموضوع الأنا والآخر أثار انتباهي بل ويثير انتباه كل قارئ منذ العنوان في المجموعة القصصية " تقاسيم فلسطيني"، إنه الفلسطيني الذي يعيش ويلات الصهيوني العدو، لذا اخترت عنوان " تمثلات الأنا وصورة الآخر في المجموعة القصصية تقاسيم فلسطيني لسناء شعلان" موضوعا لبحثي هذا.

كلمات مفتاحية: الأنا، الآخر، تمثلات، صورة، المجموعة القصصية.

Abstract:

The subject of the ego and the other is one of the topics that scholars have been interested in, in the field of modernist studies. This phenomenon is not limited to a particular genre, but it is also found in poetry, novel and other literary arts. The subject of the ego and the other has attracted my attention and the attention of every reader, right after reading the title of the story collection "Palestine Sharing." It is The Palestinian who lives the woes of the Zionist enemy, so I chose the title “Representations of the Ego and the Image of the Other in the Story Collection, Palestinian Sharing by Sanaa Shaalan” as the subject of my research.

Keywords: Ego, Other, Representation, Image, The Story Collection.

المؤلف المرسل: أ.د. سعاد شابي، **الإيميل:** sou.chabi@univ-adrar.edu.dz

1. مقدمة:

تعد القضية الفلسطينية من أهم القضايا التي شغلت الرأي العربي خصوصا، فهي الثورة التي طالت مدتها بين الشعب الفلسطيني والإسرائيليين، وشهدها التاريخ بكل تمظهراتها عبر عدة وسائل منها قنوات الإعلام، كما اهتم بها الكتاب والشعراء وغيرهم، ولعل من هؤلاء الذين نقلوا وجسدوا القضية الفلسطينية في كتاباتهم الكاتبة الروائية الفلسطينية الأردنية سناء شعلان، التي صورت جميع أنواع الاضطهاد البشري الذي يطبقه الاستدمار الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني، وذلك في مجموعتها القصصية بعنوان " تقاسيم الفلسطيني"، لذا وبعد قراءة هذه المجموعة شدني تصوير المبدعة الدقيق لكل جزيئات فلسطين من أرض وبشر وأشياء، وما صورته للآخر الوحشي بكل وجوه الظلم والعدوانية التي يكنها للشعب الفلسطيني، فاخترت موضوع " تمثلات الأنا وصور الآخر في المجموعة القصصية تقاسيم الفلسطيني لسناء شعلان"، ولعل أهم هدف من دراسة هذا الموضوع هو نقل تمثلات فلسطين (الأنا) المتجسدة في كل مكوناتها من بشر وأشياء للقارئ، وكذا تعريفه بالعدو الوحشي (الآخر) فهو لا يكتفي بالقتل والحرق بل ويفعل أمورا ربما لا يتخيلها العقل البشري، وبالتالي: كيف جسدت الكاتبة الأنا وما هي صور الآخر من خلال مجموعتها القصصية تقاسيم الفلسطيني؟

وللإجابة على هذا التساؤل اتبعت الخطوات التالية:

1- مقدمة
2- تمهيد
3- المجموعة القصصية تقاسيم الفلسطيني
4- الأنا والآخر في المجموعة القصصية
5- خاتمة.

وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي المناسب لطبيعة هذا الموضوع.

2. تمهيد:

قبل التطرق للأنا والآخر في المجموعة القصصية لابد من التعرف على مفهومي الأنا والآخر فقد تعددت تعريفاتهما حسب نظرة كل تخصص (الفلسفة، علم النفس....)، ولكننا أخذنا بما يخدم موضوعنا من تعريفات اصطلاحية أقرب للغوية، فالأنا: "ضمير متكلم قائم بذاته ولذاته، لا ينازعه أو يشاركه في ذاتيته وبصفته آخر، فهو مستقل عن غيره وإن كان منتجا له وناتجا عن علاقته به" (سليماني، 2009، صفحة 404)

والآخر: " في تاريخ الفكر، كما في العلوم الإنسانية، احتلت موضوعات الآخر_وما تزال_مكانة بارزة نظرا لارتباطها الجدلي بموضوعات أساسية ملازمة: الأنا/ الذات– الهوية... فيصير الآخر بالمفرد والجمع الذي تعيش معه تجارب كالقرابة والصداقة والجوار، أو كالمنافسة والخصومة والعداء...وهذه التجارب وسواها تحدد بنوعها واختلافها طبيعة العلاقات ودرجتها إما على صعيد الوعي أو في حقل السلوك والفعل" (حميش، 2003، صفحة 05)، وبالتالي فإن الأنا تدل على الذات، وأما الآخر فيدل على من تتحدث عنه الأنا حسب العلاقة التي تربطه بها حسنة أو سيئة، والآخر قد يكون إنسانا أو شيئا جامدا، وقد يكون مفردا أو جمعا.

3. سناء شعلان والمجموعة القصصية تقاسيم الفلسطيني:

سناء شعلان أردنية ذات الأصول الفلسطينية(واسمها الكامل سناء كامل أحمد شعلان، أديبة أردنية من أصول فلسطينية، تحمل درجة الدكتوراه في الأدب الحديث، إضافة إلى شهادة الدكتوراه الفخرية في الصحافة والإعلام..." (شعلان، 2015، صفحة 158)

تحوي المجموعة 182 صفحة، وتتضمن 174 قصة موزعة على سبعة عنوانات كبرى، هي:

– تقاسيم الوطن، تتكون من خمسة وثمانين قصة صغيرة، هي طبعا قصص مختزلة ولكنها واضحة وتحمل من المعاني ما يجعل القارئ يتصور المشاهد وكأنه في وسطها، لأن الكاتبة تعبر عن حرقتها اتجاه وطنها وأصلها، ولعل ما يجلب القارئ أن (تقاسيم الوطن) احتلت المساحة الكبيرة من الصفحات حيث بلغت ثمانية وستين صفحة وهذا إنما دليل على تألم الكاتبة ومعاناتها اتجاه الوطن الفلسطيني.

– تقاسيم المعتقل وقد احتوى هذا العنوان اثنتي عشر قصة، صورت من خلالها الكاتبة حالات السجن والأسر التي عانى منها الفلسطينيون، والمعاملة اللاإنسانية التي كانوا يلقونها من العدو.

– تقاسيم المخيم التي احتوت على ستة عشر قصة، سردت فيها هموم ومعاناة سكان المخيمات.

– تقاسيم الشتات وقد احتوى هذا القسم على خمسة وعشرين قصة تصور فيها كل أنواع التشتت بمعنى الكلمة، إما للجوء قسري، أو لتهجير أو في مخيمات، أو تفريق أم عن أبنائها وغير ذلك.

– تقاسيم العرب تحوي عشرة قصص تعبر عن العرب كيف أعطوا فلسطين ظهورهم ولم يقفوا معها.

– تقاسيم العدو تحوي واحد وعشرين قصة، تصور فيها نماذج للعدو الإسرائيلي بين سارق مكشوف من زوجته فتقتله وتقتل نفسها، وبين قتال، وبين عبد إثيوبي خدم إسرائيل وهم احتقروه لأصله واستعبدوه و.....

– تقاسيم البعث تضمن هذا القسم خمس قصص، كلها فيها معنى التفاؤل، معنى انتظار يوم تصبح فلسطين حرة.

هي مجموعة قصصية رائعة ومؤثرة وتستحق القراءة، لأنها تحمل ما لا نعرفه عن المقاومة الفلسطينية التي عرفت الصبر والصمود والعطاء والشجاعة، إنها تصور مظاهر الوحشية واللاإنسانية التي يحملها السالب الظالم الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني الأبي.

تحكي الكاتبة معاناة وصمود الفلسطينيين الذين لا يعرفون الخوف ولا الهزيمة ولا الانكسار.

استهلت الكاتبة مجموعتها بإهداء يلفت انتباه كل من يقرأه، تقول الكاتبة:" إلى أمي الفلسطينية العاصمة الأبدية التي علمتني معنى الصبر والصمود والعطاء والشجاعة.

إلى مدين فضيلات الوجه الفلسطيني الذي لا يعرف الانكسار في زمن الردة.

إلى عطا الله الحجايا قلب فلسطيني شجاع لا يعرف الخوف أو الهزيمة" (شعلان، 2015، صفحة 05)، وبالتالي فالكاتبة محاطة بمن يدعمون شخصها بالقوة والشجاعة، محاطة بفلسطينيين بدءا بأمها رحمها الله، التي كانت لا تزال حية آنذاك، إلى أشخاص جمعتها بهم الوطنية.

4. الأنا والآخر في تقاسيم الفلسطيني:

وأما عن الأنا في المجموعة القصصية " تقاسيم الفلسطيني" فقد جسدتها الكاتبة في فلسطين بكل تقاسيمها من امرأة ورجل وطفل وطفلة، إنه الحقل والأرض والمنجل كل ما تحويه فلسطين، وأما الآخر فهو العدو الإسرائيلي بكل ما عبرت عنه الكاتبة بعبارات البطش واللاإنسانية.

الأنا هي الأم الفلسطينية الأم خضرة، لم تنجب طفلا، ولكنها أم الجميع، " هي أم الأسرى جميعهم في المعتقلات الصهيونية في فلسطين المحتلة، كل أسير فلسطيني أو غير فلسطيني يقبع في معتقلات الاحتلال يغدو ابنها خبط عشواء فور دخوله المعتقل...." (شعلان، 2015، الصفحات 15-16)، فهي أم الأسير الأردني، وأم العراقي، وأم اليمني، وأم الأسير الجزائري والمصري هؤلاء كلهم أسرى جاؤوا إلى فلسطين بغية الدفاع عنها، " إنها الأم خضرة التي تقارع التجار والمتسوقين في السوق وترفض أن تساوم في أسعار بضائعها من الخضروات والفواكه، فأي نقص في مربحها يعني أن يقل مخصص أحد أبنائها الأسرى من عونها" (شعلان، 2015، صفحة 16)، إنها تحرص على مساعدتهم لأنها جعلتهم كلهم أبناءها دون تمييز، تتابع المحامين وتعد الأيام المتبقية لخروجهم، إنها الأم الفلسطينية المخلصة للوطن ضد المحتل، فهي إذ بهذه الطريقة إنما تحارب العدو الصهيوني الذي اعتقل هؤلاء لأنهم حاولوا الدفاع عن الأرض المقدسة.

الأنا تلك الطفلة الفلسطينية التي تحلم باللعب على تلك الأرجوحة الجميلة التي طالما نظرت إلى تلك الفتاة الصهيونية الحمراء البشرة كما وصفتها الكاتبة، وقد راودتها نفسها كي تقطع الأسلاك الشائكة التي تحيط بالمستدمرة

الصهيونية كما وصفتها الكاتبة، لأنها في الحقيقة هي تدمير للأرض والشعب الفلسطيني، ولكن الطفلة " تتجرأ، وتعبر الأسلاك الشائكة التي تفصل قريتها الفلسطينية النائية عن المستدمرة المستذئبة، تجري نحو الأرجوحة، لكنها لا تصل إليها، يتناوشها المستدمرون الصهاينة بالفؤوس والسكاكين والخناجر" (شعلان، 2015، صفحة 17)

قطعت وحرقت فقط لأن ذنبها الوحيد أنها حلمت بأن تلعب بأرجوحة حمراء البشرة الملعونة كما وصفتها الكاتبة.

إن قول الكاتبة عن العدو الصهيوني مستدمرا كان أقل ما يوصف به هذا الخنزير الوحشي، إنه يدمر كل ما له علاقة بالفلسطينيين، فقتل الطفلة البريئة بتلك الوحشية ثم تقطيعها وحرقها لأكبر دليل على وحشيته من جهة ومن جهة أخرى واضح أن حتى رائحة فلسطيني تخيفه، وأصبحت هاجسا مخيفا يحاول القضاء عليه.

الأنا هم اللاعبون الصغار الذين كانوا يلعبون كرة القدم، وقد كان من ضمنهم الطفل الذي وعد أمه بأن يعود سريعا فور إنهاء لعبه، ولكنه لم يفي بوعده لها، لأن العدو الصهيوني:" دخل اللعبة دون استئذان وأصاب الهدف النهائي، لقد أطلق صاروخا شلع الساحة من مكانها، وفتك بأجساد اللاعبين الصغار الذين لم يوافوا انتظار والداتهم في الميعاد، ولن يعودوا إلى بيوتهم قبل حلول الظلام" (شعلان، 2015، الصفحات 12-13).

فهذه صفة من أوصاف الإسرائليين وهي عدو، إنما هم قتلة الأبرياء، وهنا يصنفون على أنهم أعداء الإنسانية وليس الفلسطينيين فقط.

الأنا جسدتها الكاتبة أيضا في الفتاة التي دافعت عن والدها فاعتقلها المستدمرون الصهاينة كما وصفتهم الكاتبة بعد أن شجت رأس أحدهم بحجرها بعد ضربه لوالدها، إنها الفتاة الحالمة بأن تزف عروسا والتي حزنت على هديتها لزوج المستقبل فقد" هدرها الجنود في المعتقل انتقاما منها اغتصبوها مرارا وتكرارا كي يكسروا كبريائها ويحرقوا اعتزازها بنفسها....إلا أنها أيقنت أن أحلام الزوج والعرس وثوب الزفاف قد تبخرت للأبد على صفيح مستعر اسمه اغتصابها" (شعلان، 2015، صفحة 13).

فعلا هم مستدمرون مدمرون لكل القيم الإنسانية بل وتجاوزوا ذلك إلى تدمير الأحلام.

الأنا أيضا كانت الأم التي اكتشفت أن ابنها الوحيد كان عميلا رخيصا لصغار الجنود الصهاينة، ولما علمت أنه سيشي بالكثير من الفدائيين، رأت بأنه "آن الوقت لبتر هذا الغصن النخر على الرغم من أنه ثمرة قلبها وحصاد عمرها، أبلغت عنه فدائيي المنطقة كي يقنصوا رأسه الخائن" (شعلان، 2015، صفحة 34).

إنها الأم التي مهما كان لا تستغني عن فلذة كبدها الوحيد، ولكن لما كان في مسألة الخيانة والغدر بالفلسطينيين استحت من عار خيانته وقررت أن يقتل على أن يبقى خائنا، إنها المرأة الفلسطينية الأصيلة التي

يجري في عروقها الوفاء وحب الوطن، تقول الكاتبة عنها:" في الليلة المقصلة صلت العشاء، ونامت ليلها الطويل آمنة راضية بما فعلت، ونسيت أن لها ابنا مدللا خائنا سترحل روحه هذا المساء إلى الجحيم لأنه ليس ابن أمه" (شعلان، 2015، صفحة 34)، ليس ابن أمه لأن أمه ليست خائنة.

فقد مثل الصهاينة لأنه كان سبب القتل والغدر.

الأنا أيضا كانت المرأة المزارعة الصامدة التي بقيت في أرضها رغم أنها هي الفلسطينية الوحيدة هناك، فالمزارع المحاطة بمزرعتها مزارع كما وصفتهم الكاتبة الوحوش والتي صادروها من أهلها الفلسطينيين، " الآن غدت وحيدة تماما، ولكنها ظلت قوية، زرعت من جديد السنابل التي خلعوها من أرضها، ونفخت فيها فتفتقت جميعها عن فلسطينيين زراع هبوا جميعهم لنجدتها وعونها وزراعة أرضها من جديد" (شعلان، 2015، صفحة 37).

فعلى الرغم من حرق محصولها من طرف الوحش الإسرائيلي وإطلاق الخنازير البرية على مزرعتها إلا أنها صمدت في أرضها واعتنت بها بمساعدة إخوانها الفلسطينيين، وهذا إنما يعبر عن روح التضامن بين الفلسطينيين، ضد ما وصفته الكاتبة بالوحش، فالوحشية تجسدت في التخريب والتحريق وإطلاق الخنازير، إنها أسوأ الأوصاف بالنسبة للبشر.

الأنا كانت أيضا الفلسطينية والفلسطيني اللذين تحابا منذ الصغر، لقد تعاهدا على ألا ينفصلا وإلا يغادران الحياة سويا، لقد حفرا عهدهما على جذع شجرة زيتون، لقد خططا أن يتزوجا الخريف المقبل، لكن لم يتحقق لأن العدو صادر أرضهما قبل الخريف وجعلها بيوتا لمستدمرات صهيونية تأوي الغرباء الغاصبين.

نعم هم مستدمرون مدمرون، وهم غرباء غاصبين، لا أرض لهم بل اغتصبوا أراضي الفلسطينيين ليتخذوها مأوى لهم.

لكن الحبيبين " قررا في لحظة عشق كاملة أن يمضيا في درب عشقهما الأكبر بحزامين ناسفين فجرا البيوت المستدمرة الوليدة فوق أرضهما بمن فيها من الغرباء، وتناثرا هباء مقدسا فوق أرضهما التي ماتا عشقا لها" (شعلان، 2015، صفحة 53)، فحب الأرض المقدسة كان أقوى من حبهما.

الأنا مثلت الأب الفلسطيني وهو في الوقت نفسه الجد الخائف على عرض زوجته وبناته وحفيداته من هدر العصابات الصهيونية كما لقبتهم الكاتبة، فقد " قرر أن ينجو بعرض زوجته وبناته وحفيداته وزوجات أبنائه، حملهن جميعا على عجل، وقرر أن يطير بهن بعيدا عن أيدي الغاصبين" (شعلان، 2015، صفحة 66).

في حين ترك أولاده الخمسة يدافعون عن أرضهم، وأما هو فحين " وصلوا جميعا إلى النهر شرقي وطنهم ترك زوجته وبناته أمانة في حضن المتأهبين لعبور النهر، وقرر أن يعود ليحمي عرضه الأرض" (شعلان، 2015، صفحة 66).

هذا هو الفلسطيني، مسؤول عن حماية عرضيه المرأة والأرض من العصابات الصهيونية، نعم عصابات بأتم معنى الكلمة.

الأنا هو الفلسطيني الدم، الصهيوني الجنسية رغم أنفه، فالكيان الصهيوني كما لقبته الكاتبة يفرض على الفلسطينيين الجنسية الصهيونية في الأراضي التي يحتلونها.

وعلى الرغم من جنسيته، إلا أن قلبه الفلسطيني جعله يقيم معرضا للوحات هو رسمها عن الدمار الذي ألحقه الكيان الصهيوني بمساعدة بعض المنظمات الإنسانية الدولية، تقول الكاتبة:" جاء الكثير من الفضوليين الصهاينة إلى المعرض، أثارت اللوحات المتقنة فضولهم، أحدهم مال عليه برأسه الخنزيري الكبير الأحمر، وسأله بفضول: هل أنت من رسم هذه اللوحات؟ أجابه الرسام الفلسطيني: بل أنتم من رسمتموه" (شعلان، 2015، صفحة 67).

فالدم الفلسطيني لا تغيره لا جنسية ولا أي شيء، والرؤوس الخنزيرية مهما حاولت ستتصدى لها القلوب الفلسطينية لا محالة.

الأنا أيضا تمثلت في الفلسطيني المضرب عن الطعام بسبب اعتقاله دون سبب أو محاكمة، في المعتقل الصهيوني العفن كما وصفته الكاتبة.

وكطريقة للتعذيب " أجبروه بضع مرات على شرب الحليب البارد كثير السكر عبر أنابيب بلاستيكية دسوها بعنف في أنفه وصولا إلى جوفه حتى مزقوا مجراه التنفسي، وأغرقوا معدته بالحليب البارد المغث" (شعلان، 2015، صفحة 80).

وكان الحارس الصهيوني يأكل أمامه كل ما لذ وطاب ليعذبه بالجوع، ويسأل الحارس الصهيوني الأسير الفلسطيني:" ما الذي يدعوك إلى هذا الإضراب المرير عن الطعام؟ عجبا لك"، ليجيبه الأسير الجائع بكل هدوء:" أنت معذور في عجبك، فأنت لا تعرف حرقة حب الوطن" (شعلان، 2015، صفحة 81)

فالطعام لم يعد مهما في نظر الفلسطيني مقابل حب الوطن.

الأنا مثلتها أيضا الفلسطينية المتحجبة حافظة القرآن الكريم، التي اغتالت خطيبها رصاصة صهيونية، اعتقلت في عملية استشهادية آلت إلى الفشل، لقد جربوا عليها كل أنواع التعذيب، " وأخيرا أرادوا أن يجربوا عليها

عذاب العري لامرأة مسلمة خجولة أمام قطيع من الجنود الصهاينة الخنازير، اعتقدوا أنهم سيكسرون شوكة نفسها الأبية المتماسكة إن كشفوا سترها" (شعلان، 2015، صفحة 85).

لكن الفلسطينية اكتست الكبرياء الذي أغناها عن الملابس " فهي لا تخجل من عريها أمام خنازير بشرية ترعى في أرض غير أرضها" (شعلان، 2015، صفحة 86).

فعلا هم خنازير بشرية سرقوا أرض غيرهم ليرعوا فيها، فلماذا تأبه لهم هذه الفلسطينية العفيفة صاحبة الحق، لقد سقطت قيمتهم في نظر الفلسطينيين.

الأنا جسدتها الفلسطينية القاطنة بمخيم تل الزعتر، والتي لا تخشى أولئك الوحوش رجال العصابات كما وصفتهم الكاتبة، " لقد أبادوا أمام عينيها أقارب وجيران وأصدقاء لا تستطيع أن تحصيهم عددا، كل ما تريده الآن هو أن تحصل على جرة ماء لإنقاذ أمها وأختيها من نزاع الموت عطشا" (شعلان، 2015، صفحة 91)

فجرة ماء أصبحت ضرب من المستحيل كما عبرت عنه الكاتبة، وآبار الماء تغص بدماء الشهداء الفلسطينيين. وأما تلك الفتاة الفلسطينية ف " تراهن على حياتها بجرة ماء، تخاطر، وتتستر بقلبها الصغير الحزين من عيون القناصين، تتعثر بجثث الشهداء من أهل المخيم، وتعود تحمل جرة الماء، على باب بيتها يقنصها قناص، فتستشهد جرة الماء، ويراق ماؤها على الأرض السخينة التي تبتلع الماء بظمأ وتحرق، تسب القناص الذي صاد الماء، ولم يصدها هي، تقعد على الأرض تبكي جرة الماء الشهيدة، وتلملم بعض الماء في يديها قبل أن يتسرب من بين أصابعها، ويعود إلى الأرض من جديد" (شعلان، 2015، صفحة 92)

فعلا هم وحوش بشرية يحرمون الفلسطينيين من كل شيء حتى من الماء وفي أرضهم ووطنهم، إنهم يريدون القضاء عليهم والاستلاء على أراضيهم ليجعلوها ملكهم، ولكن مهما حدث فلابد أن ينال صاحب الحق حقه.

الأنا مثلها الفلسطيني الذي هجر قسرا من فلسطين إلى بلد أجنبي بعيد جدا عن موطنه، حيث تزوج من أجنبية التي أكدت له أنها تناصره في قضيته، ولكن وبعد جمع المال الذي أراد به الرجوع إلى فلسطين، فإنه " دفع شطر ثروته العملاقة التي حصلها من تجارة الأخشاب رشوة للصهاينة الخونة كي يحصل هوية فلسطينية بعد أن انتزعت منه منذ سنين طويلة، والشطر الأخر من ثروته دفعه كاملا إرضاء لزوجته الأجنبية التي كشرت عن أنيابها...لقد دفعه لها برضا كامل كي تتنازل له عن حضانة ابنيهما فوافقت..أخذ ابنيه الفلسطينيين ليعود بهما إلى وطنهما، فهناك مهمة مقدسة تنتظرهما هناك" (شعلان، 2015، صفحة 111)

فهناك طبعا ثمن لكل شيء عند عديمي الضمير المال للصهاينة الخونة مقابل الهوية، والمال للزوجة الخائنة للتخلي عن الأبناء، وأما الفلسطيني فلا يهمه المال، جمعه من أجل الرجوع إلى وطنه فلسطين وكان فعلا ثمنا للرجوع مع ابنيه.

الأنا مثلتها الفتاة الفلسطينية التي بلغت السادس عشر من عمرها، إنه عيد ميلادها لكنها لا تنتظر لا حفلة ولا هدايا بل وكان في انتظارها قرارا صهيونيا يحرم على الفلسطينيين البالغين سن السادسة عشرة زيارة آبائهم وأمهاتهم الأسرى، فحرمانها من رؤية أبيها المسجون بتهمة تحرير الوطن جعلتها لا تنكسر، بل صممت على أن " ترفض أن تستسلم لهذا القرار الجائر، تلبس ثوبها الجديد الأوحد الذي تدخره للمناسبات السعيدة النادرة في حياتها، تشعل شمعة، وتغمض عينيها، وتتمنى أمنية عيد ميلادها، هي أمنيتها الوحيدة ثم تطفئها وتشرع تنتظر أن تتحقق أمنية عيد ميلادها، فيفتح والدها باب بيتهم ويبمم نحوها ليبدأ الاحتفال بعيد ميلادها" (شعلان، 2015، صفحة 85)

طبعا أبو الفتاة كان محكوما عليه بالسجن مدى الحياة، وعلى أن تتمنى أمنية عيد ميلادها التي تتمثل في رؤية أبيها فيفتح الباب ويدخل وتحتفل معه بعيدها هو في الحقيقة ضرب من الخيال أو أن الله فعلا أراد بها أن تفرح وترى والدها، ففي كل الأحوال هذا حلم كل فلسطيني وفلسطينية هو لم الشمل والقضاء على العدو..

الأنا صورتها الكاتبة في المرأة الفلسطينية التي على الرغم من أن زوجها مسجون بالمعتقل الصهيوني ولكنها استطاعت أن تحمل منه بطريقة بوليسية كما وصفتها الكاتبة، لقد دبر طبيبها المعالج في مستشفى التلقيح خطة نقل نطفة من زوجها، وقد أشهدت شهودا من أهلها وآخرين من أهله حتى لا تتهم بالخيانة، وبعد تجربة التلقيح.... ... انتصر على الموت حيوان منوي واحد شجاع همام، وصافح الحياة في رحمها، وأصبح جنينها عمار الذي جاء إلى الحياة مهربا من المعتقل الصهيوني، ليحمل اسم والده الأسير، ويعده بغد لا يموت ويهبه إصرار على الحياة وينذر نفسه لحمل راية والده حيث العلم الفلسطيني يرفرف عاليا" (شعلان، 2015، صفحة 87)

طبعا هذا أمل سعاد الأم التي تنتظر خروج زوجها من المعتقل بعد ربع قرن، هو أيضا أملها في أن يصبح رضيعها مناضلا قويا ينتظر أباه حين خروجه من السجن.

الأنا مثلها أيضا الأسير الرضيع، تقول الكاتبة:" لا يعرف بأي جناية هو مسجون في هذا المعتقل.....منذ ولد وجد الضيق والضنك أمامه، لم يخرج بسهولة من بطن أمه لأنها تزم فخذيها وتغلقهما بشدة بسبب سلاسل تكبل قدميها، وتشد إحداهما إلى الأخرى، حتى أنها لم تستطع أن تحتضنه عند ولادته كأي أم، لأنها كانت كذلك مصفدة اليدين....." (شعلان، 2015، صفحة 79)، إنه أصغر أسير في التاريخ، حرمت أمه من ولادة عادية، وحرم هو من حنان صدر أمه، لم يريا فرحة أن يكونان في بيت مع عائلتهما والأقارب، وأمه على أمل

الخروج من المعتقل وهي تكلم رضيعها:" حبيبي محمد، سنخرج في القريب من هذا المعتقل الصهيوني اللعين، عندها سترى والدك جابر، وأختيك، وجدتك وأعمامك وأقاربك أجمعين" (شعلان، 2015، صفحة 80)، إن المعتقل الصهيوني اللعين كما لقبته الكاتبة هو العدو الذي حرم صاحب الحق حقه، إنه عديم الإحساس الذي لم يشفق على امرأة تتألم من المخاض، ولم تكن له ذرة حنان لفك قدميها وهي تلد، لقد طبق هذا العدو أبشع الجرائم في حق الفلسطينيين، فلم يكتف بأسر هذه المرأة بل وتعذيبها وهي تلد، وكأنه يخاف من الفلسطينيين حتى وهم بين قبضته.

ويبقى الفلسطينيون صامدون بأحلامهم وآمالهم متشبثون بوطنهم حالمون بالتحرر ناقمون على العدو الصهيوني.

إن حرمان الزوجة من رؤية زوجها وحرمان الأب من رؤية ابنه ليس غريبا حين نتحدث عن الصهاينة عديمي الإنسانية، لقد غدا معنى الوحشية لصيقا بهم.

الأنا مثلتها الكاتبة أيضا في الفلسطيني ذياب ذو السبعة عشر سنة وهو متزوج وأب لطفل ومسؤول عن أمه الأرملة، ولصغر سنه كان ابنه يناديه ديبو حبيبي.

كان ديبو يخرج لرجم الجنود الصهاينة بالحجارة، وهو وغيره كانوا يعطلون وصول الصهاينة من الوصول إلى أماكن تواجد الفدائيين حتى يتسنى لهم الهرب، كان ابن دياب ينتظر بشغف كبره ليرافق أباه في واجب رمي الصهاينة بالحجارة، لكن استشهد وهو يؤدي واجبه كان يغلق يده على الحجر، ولكن الابن " أسرع إلى كف يمين والده، وفتحه على عجل، وانتزع الحجر منه وخبأه في جيبه وهمس في أذن والده: ديبو حبيبي لقد كبرت غدا سأخرج لرجم هذا الحجر في وجه الجنود الصهاينة " (شعلان، 2015، صفحة 40)

الصهاينة هدفهم القضاء على الفلسطينيين لإذلال الآخرين، إلا أنهم لم ينجحوا بل زاد الفلسطينيين إصرارا على الجهاد لتحرير الوطن المقدس.

4. خاتمة:

وأخيرا وبعد ما عرضته من صور للأنا الفلسطينية وللآخر الهمجي الصهيوني– مع العلم أنني لم أعرض كل القصص بل نماذج منها–، يتضح أن الكاتبة وإن كانت تعيش في الأردن إلا أن قلبها في فلسطين، إنها تنقل للقارئ حرقة الوطن والأهل والأحباب، والدليل أن النسخة التي اعتمدتها كانت قد أرسلتها لي الكاتبة سناء الشعلان عن طريق البريد، إنها تريد إيصال صوتها عن القضية الفلسطينية المقدسة إلى كل من يتصف بالإنسانية.

الأنا تنوعت صورها من طفلة وأم ورجل وأب وفتاة وحتى جرة الماء كما ذكرنا، تتشبع بكل معاني الجهاد والصمود والصبر، تتألم الذات الفلسطينية كل يوم وتزيد قوتها وإصرارها كل دقيقة، في حين أن الآخر الصهيوني الوحشي الخنزير المستدمر وبكل ما وصفته الكاتبة يزيد خوفا ورعبا من شجاعة الفلسطينيين والدليل طريقة السلب والنهب والتقتيل المعتمدة لديه.

وفي الأخير نسأل الله تعالى أن ينصر إخواننا الفلسطينيين، وينصر القدس، ويقضي على الخنازير الصهاينة.

قائمة المراجع والمصادر:

1. أحمد ياسين سليماني. (2009). *التجليات الغنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر المعاصر*. دمشق: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع.
2. بن سالم حميش. (2003). *في معرفة الآخر*. سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.
3. سناء شعلان. (2015). *تقاسيم فلسطيني*. عمان: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع.